الترجمة الأدبية بين النقل والإبداع

بلحرازم أمينة

باحثة سنة ثانية دكتوراه معهد الترجمة

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

amina.traduction@outlook.com

الملخص:

تختص الترجمة الأدبية بمنحها المترجم حرية التصرف بما يتناسب وتوجهات الملتقى ضمن الخصوصيات الثقافية للغة المنقول إليها بهدف إحداث نفس الأثر الذي تركه النص الأصل لدى القارئ وذلك دون التفريط بالمعنى.

وفي ظل هذه الحرية وخلال سعي المترجم لتكييف الترجمة قد يطلق العنان لقلمه وتأويله باعتباره قارئا نموذجيا وكل قراءة تفضي إلى تأويل وإنتاج للنص بلغة أخرى.

- فهل يمكن اعتبار هذا الإنتاج مجرد ترجمة أم أنه كتابة أخرى للنص ؟
- هل يكتفي المترجم بنقل العناصر اللغوية والثقافية فحسب أم انه سعيا لترجمة مثلى يتحول من النقل إلى الكتابة، من مترجم إلى كاتب للنص في اللغة الهدف؟

الكلمات المفتاحية: الترجمة الأدبية، النقل، الكاتب، المترجم، الابداع.

La traduction littéraire entre le transfert et la créativité

Résumé :

La traduction littéraire offre au traducteur la liberté d'agir selon les vocations du récepteur tout en respectant les spécificités culturelles de la langue cible afin de produire le même impact que le texte original a pu créer chez le lecteur sans en compromettre le sens.

Et sous cette liberté, afin d'adapter la traduction, le traducteur libère sa plume ainsi que son interprétation comme étant un lecteur modèle et chaque lecture nécessite une interprétation et une nouvelle production du texte dans une autre langue.

• Alors, Est-ce que cette production peut-elle être considérée comme une simple traduction ou est-ce une autre production du texte?

• *L'interprète transmet-il simplement les éléments linguistiques et culturels ? ou bien à la recherche d'une traduction idéale il peut passer du transfert à l'écriture, d'un traducteur à un écrivain du texte dans la langue cible?*

Mots clés: *Traduction littéraire, Transfert, Ecrivain, Traducteur, Créativité.*

مقدمة:

إن الحديث عن الترجمةإنما هو حديث عن الحضارة البشرية بكل ما تنطوى عليه من تجاذب وتفاعلبين الشعوب فهي منأهم وأقدم النشاطات الإنسانية التي عرفتها الأمم على مر العصور فقد غذت ضرورة ملحة للاستمرار والتعايش ومحركا قويا نحو التقدم والازدهار.فهي تفتح نوافذنا على الآخر وتحملنا على بساطها السحري تدفعه رياح التأويل وهو يطوي الاختلافات والمسافات طيا، فتسموا الترجمة بذلك لتغدو عملية تواصلية وتثاقفية بحثه يعود إليها الفضل الأكبر فى نقل العلوم والفنون والآداب.

فالترجمة وإن كان قوامها اللغة فإنها لا تقتصر على مجرد نقل نص من لغة إلى لغة أخرى فى عملية لغوية لسانية بحثه أو الانتقال بالنص إلى ضفة مقابلة لها خصوصيتها ورؤيتها التى تميزها عن غيرها وتختلف عن ثقافة النص الأصل، إن الترجمة مخاض فكري وإبداعي عسير يتطلب موهبة ودراية ودربة وإلماما بثقافة النص الأصل واتقانا للغتين وتمكنا منهما فى مهمة لبعث روح النص الأصل فى ثقافة أخرى وبيئة جديدة حيث يؤدي المترجم الدور الأهم فيهب النص حياة جديدة وقراء جددا ومجدا متجددا فيرقى بالقارئ إلى ذروة الاستمتاع دون إفراط أو تفريط بحيث يفك الحصار عن إبداع المؤلف ويهبه المجد والخلود.

الإشكالية:

تتطلب الترجمة الأدبية فائضا من الموهبة والخبرة والحس الإبداعي لدى المترجم وكذا نفسا طويلا وتذوقا فائقا ناهيك عن تحد البلاغة والبيان والدلالة والإيحاء الذي يختلف من لغة إلى لغة أخرى ومن ثقافة الى ثقافة أخرى، فيحاول المترجم جاهدا التوفيق بين حرص المؤلف الذى يرى فى إبداعه قدسية لا يجب

المساس بها وبين النص الذى أصبح إرثا انسانيا وأمانه يجب الحفاظ عليها، وبين لهفة المتلقي الذي لا يستغنى عن حقه ونصيبه فى تذوق الابداع.

فلا مناص إذ ذاك من السعى إلى تحقيق التطابق الفني والابداعي للعمل ذلك أن التطابق اللساني لا يفي وحده بالغرض وفى سبيل ذلك يلجأالمترجم الى تكييف النص والتصرف دون المساس بجوهره حتى يتسنى له وضعه فى خانته وإطاره الثقافي والاجتماعي فى اللغة الهدف وفق ما تسمح به الثقافة المستقبلة فيعيد انتاج النص بلغة جديدة وفى ظروف مختلفة ضمن إطار إبداعي على هامش الابداع الأصلى.

- فهل يرقى إنتاج المترجم ليكون إبداعا موازيا أم أنه مجرد إتباع ونقل تحت ظلال الإبداع الأصلي؟

- هل يمكن اعتبار المترجم كاتبا ثان للنص بلغة أخرى حيث يستمد إلهامه من مؤلف العمل الأصلي؟

يهدف البحث إلى رد الاعتبار لجهد المترجم وغنائه في بعث النص إبداعا فاعلا متفاعلا يهب النص حياة جديدة ومجدا متجددا فيكرس من خلال ذلك دور الوسيط الإنساني الذي يكفل التعايش بين أطراف العملية الإبداعية فينتقل بذلك من النقل إلى الإبداع.

للإجابة عن التساؤلات السابقة لابد من الوقوف عند تحديات ترجمة النص الأدبي وكذا الخطوات المنهجية التي يتبعها المترجم فى سبيل إنتاج نصه ابتداء بالقراءة والفهم والاستيعاب إلى التفسير والتأويل كأولى مراحل الترجمة تليها إعادة بناء النص وإنتاجه.

<u>الترجمة الأدبية مغانم ومغارم</u>. لا يمكن إنكار فضل الترجمة الأدبية فى إثراء اللغة وتجديد ملامحها والارتقاءبأسلوب الإبداع فيها إلى استحداث أجناس أدبية جديدة ساهمت الترجمة فى ظهورها عبر التبادل والتلاقح الثقافي فساهمت في ازدهار حركة المسرح من خلال الانفتاح على الآداب الأجنبية وكذا القصة القصيرة وتعزيز مكانة الرواية التي أضحت اليوم ديوان العرب بعدما كان الشعر ديوانها.

تتجسد عملية الترجمة الأدبية عبر تفاعل اللغة والثقافة والفن ولذا كان لزاما على المهتم بالترجمة الأدبية أن يتحلى بالكفاءة اللسانية وكذا الكفاءة الموسوعية ذلك ان الأدب يقع ضمن نظام أكبروأشمل هوالثقافة الإنسانية إلى جانب الكفاءة التأويلية وهو في مرحلة القراءة ليحوز مفاتيح النص.

1.مراحل المخاض الترجمي:

1.1 **<u>المترجم باعتباره قارئا:</u>** يرى **رولان بارت R BARTHES:** بأن وجود العمل الأدبي ليس لجعل القارئ مستهلكا للنص بقدر ما هو لجعله منتجا له (باسنيت، 2012، صفحة 113) فهو بهذا يجعل القارئ فاعلا متفاعلا يساهم في عملية بناء النص في مخيلته ذلك أن كل قراءة تحيله إلى تأويل يشكل لاحقا لبنة بناء لإنتاجه.

وفي نفس الصدد يفترض **أومبيرتو إيكو UMBERTO ECO** لنصه الذي يصفه بالآلة الكسولة أن يجد قارئا نموذجيا "قادرا أن يتحرك تأويليا كما تحرك توليديا" (إيكو، 2007، صفحة 22).

فالقارئ النموذجي حسب **أومبيرتوإيكو UMBERTO ECO** يقرأ ويستقرء في محاولة لاستنطاق رموز النص وملابساته وافتكاك دلالاته فهما وتأويلا بالعودة إلى المعطيات التي يضعها المؤلف بين يديه ليترك له باب التأويل مفتوحا أمام اجتهاداته ليخرج المبدع الكامن داخله من خلال تحفيز أسباب التخمين وإعادة ربط الرموز والعلامات ضمن النسق الأدبي.

النظرية التفسيرية من جهتها تعتبر القارئ منتجا للنص وليس مجرد مستهلك، ولما كانت الترجمة تعني "التفسير والشرح ومطلق البيان والتعبير والوضوح " (الديداوي، 2005، صفحة 45) فإن المترجم بذلك هو القارئ النموذجي الذي يحاول جاهدا معايشة النص والدخول إلى عوالمه الخفية عبر دهاليز المعنى بمستوياته الدلالية والسياقية والنصية منها.

وقد وضعت الدكتورة إنعام بيوض ثلاث مراحل للقراءة التي يتبعها المترجم القارئ (بيوض، 2003، صفحة 46):

أ- **قراءة استمتاعية:** وهي بمثابة القراءة الذاتية للعمل يكون المترجم خلالها قارئا يحاول التعرف على مزايا العمل وميزاته الأسلوبية والكشف عليه من الناحية الشكلية.

ب- **قراءة استيعابية:** لا يزال خلالها المترجم قارئا يحاول فك رموز النص والغوص في غماره وتحديد سياقه ضمن الأنواع الأدبية.

ج- قراءة تحليلية: وخلالها يقوم المترجم/القارئ باستخراج السمات التراكبية والأسلوبية للنص ورصد الصعوبات التي قد تعترض سبيل الترجمة.

وبعد هذه المرحلة التي تعد مواجهة مع النص فإن التفسير يكون ثمرة القراءة ومظهرا من مظاهر التأويل وأحد مستوياته إذ يأتي بعد الفهم والشرح وبما أن الترجمة لا تنفصل عن التأويل فإنها إذ ذاك تضع النص في سياقه الثقافي والاجتماعي والتاريخي في محاولة للتوفيق بين الأنا والأخر ليرتقي المترجم من التفسير والتأويل إلى انتاج نص وإبداع مواز للنص الأصلي.

1.2.المترجم الكاتب والكاتب المترجم:

أ- **المترجم باعتباره كاتبا:** بعد تجاوز مرحلة القراءة والتفسير والتأويل وكشف اللبس عن مكنونات النص الأصل ينتقل المترجم إلى مرحلة جديدة هي مرحلة الكتابة، والكتابة في المقام الأدبي يجب أن تراعي النظام اللغوي بهدف إحداث التأثير ذاته الذي خلفه النص الأصل في نفس القارئ ولكن بأسلوب المترجم الذي يعير صوته ولغته للمؤلف فيختفي وراءه ليفسح له المجال ليصدح بلغة أخرى وذلك إنما يكون عن ذكاء وسخاء من المترجم وسمة إبداعية يكرس فيها المترجم من خلالها وفاءه للعمل وللمتلقي دون أن يشوش حضوره على أجواء العمل فيتيح له التعرف على المؤلف دون تكلف أو عناء بلمسة لغوية فائقة الابداع.

وقد شهد الأدب أمثلة عديدة عن هذا الذكاء والعطاء الذي أخرج النص من ضيق فضاءه اللغوي إلى سعة ورحاب العالمية بفضل غناء المترجم غير أنه لا يجد من التبجيل والثناء عليه ما يكافئ فضله وبلاءه وهو الذي منح العمل أجنحة تحلق به في فضاء الابداع فكل الفضل مصروف إلى صاحب النص.

وأحسن مثال ترجمة الشاعر أحمد رامي لرباعيات الخيام التي كانت أنجح الترجمات على الاطلاق فساهمت في زيادة شهرة مؤلفها، وكذلك ترجمات الكاتب البرازيلي باولو كويلو Paulo CUELHO الذي لاقت ترجمات مؤلفاته رواجا وإقبالا كبيرا بعد أن ضاق إبداعه باللغة البرتغالية لتشرق عليه شمس الترجمة في كتابة جديدة لنصوصه.

فالترجمة إذن كتابة تمنح النص حياة جديدة وقد أشار الجاحظ في كتابه "الحيوان" فلابد أن يكون المترجم عارفا بالبديع والوحي والكتابة وبنية الكلام وعادات القوم" (الديداوي، 2005، صفحة 29)

والترجمة معادلة للكتابة في شروط مريدها، وقد جاء في تعريف الكتابة عند القلقشندي ما يجعها معادلة لها بقوله: "صناعة روحانية تظهر بآلية جثمانية دالة على المراد بتوسط نظمها" (الديداوي، 2005، صفحة 29) ومن خصائصها: "البيان الدال على لطائف المعاني التي هي زبد الأفكار وجواهر الألفاظ التي هي حلية الألسنة". كما انها "تقتضي زيادة العلم وغزارة الفضيلة وذكاء القريحة وجودة الروية لما يحتاج إليه التصرف في المعاني المتداولة والعبارة عنها بألفاظ غير الألفاظ التي سبق استعمالها مع حفظ صورتها وتأديتها إلى وحقائقها (الديداوي، 2005، صفحة 13).

ولما كانت الكتابة كما وصفها القشقلندي صناعة روحية فإنها إذن إنتاج فردي وشخصي له بصمته الخاصة، فاللغة نتاج جماعي تشترك فيه العامة والخاصة، لكن استعمالها من قبل الأفراد هو الذي يجعل منها علامة فارقة أو ما يسمى بالكلام الذي هو نتاج فردي خاص كبصمة البنان التي لا تشبهها بصمة. أما الأسلوب فهو اختيار شخصي تصقله الفطرة وتسطره، ويرى **رولان بارت** بأن كلا من اللغة والأسلوب هما أداتين تفرضهما الفطرة على الفرد حيث لا خيار له إزاءهما بينما الأسلوب علاقة معقدة بين مجموعة من القيم النفسية والمعطيات الاجتماعية والثقافية والتجارب الشخصية للكاتب تجتمع فيها الفطرة بالاختيار الواعي فيغدو بذلك علامة فارقة ومميزة للكاتب عن غيره (BARTH, 1953, p. 54).

وبالمقابل ركزت الأسلوبية الوراثية على العلاقة بين الفرد والتعبير الذي ينتجه انطلاقا من المعطيات التي توفرها له اللغة، حيث لا ينفصل المضمون عن الشكل في محاولة لبعث وإحياء النص على عكس الأسلوبية الوصفية التي لا تعير الكلام أهمية ولا تهتم بالكاتب الذي يوظف البنى اللسانية.

وانطلاقا مما سبق فإن أسلوب كل فرد هو نتاجه الفردي وبصمته الخاصة ولذلك لا يمكن للمترجم أن يطابق أسلوب الكاتب فهو إما أن يضاهيه فيرتقي بالنص أو ان يكون دونه في كتابة جديدة،ذلك أن الإبداع في حد ذاته حالة وجدانية وهذيان لا يتكرر بدليل أن المؤلف نفسه يعجز عن تكرار إبداعه فتلك نوبة وهوس يتملك المؤلف.

فالمترجم بذلك كاتب للنص في لغة أخرى وليس مؤلفا له،وكيف نطالبه بالمطابقة إذا كان المؤلف نفسه يصف ترجمته الذاتية لعمله على أنها إعادة كتابة،وذلك ما أكده الأديب أمين الزاوي عندما سئل عن ترجمته لأعماله كونه يكتب ضمن اللغتين فأجاب بأنه" لا يستطيع الاستحمام بمياه النهر مرتين وانه عندما شرع في تلك العملية وجد نفسه يكتب نصا جديدا في إبداع على هامش الإبداع (الزاوي، 2015).

– ب.**المترجم الأديب:** لقد عرف هذا النشاط رواجا كبيرا في الوطن العربي في بدايات القرن الماضي وقد ساهم بشكل كبير في إثراء اللغة وإحياء الآداب والفنون، حيث تولى الأدباء مهمة ترجمة الأعمال الأدبية فساهموا في التعريف بثقافة الغرب من خلال نقلهم لتلك الفنون غير أن أغلبها اتسمت بالتصرف الزائد وطمس ملامح النص الأصلي على غرار الجميلات الخائنات في عصر الترجمات التجميلية التي اشتهرت في أوربا خلال القرن السابع عشر ميلادي.

ويرى جورج مونان GEORGE MOUNIN أن "المترجمين الأدباء يترصدهم مطب الترجمة الانطباعية **TRADUCTION IMPRESSIONISTE** وخطر تفسير العمل الأدبي طبقا لمزاجهم" (MOUNIN, 1976, p. 13) كما يرى أن ترجمة الأعمال الفنية والأدبية بشكل خاص تتطلب الكثير من الدراسة والعناية للتأكد من عدم المساس بالمعنى الذي

يرمي إليه الكاتب حيث تطغى شخصية الأديب المترجم على روح صاحب النص الأصل وتطمس كيانه(MOUNIN, 1976, p. 13).

وقد أعرب الكاتب محمد مولسهول الشهير ب:ياسمسنة خضراء عن استيائه من ترجمات الأدباء الجزائريين لرواياته على الرغم من ضلاعتهم في اللغتين ومعرفتهم بالثقافتين ناهيك عن ملكة الإبداع لديهم وكذا انتمائهم لنفس انتماء المؤلف وكان يقصد من الأدباء **أمين الزاوي وإنعام بيوض ومحمد ساري** الذين يعتبرون من الأكاديميين المختصين في الترجمة. (خضراء، 2015)

ولم يكن المستاء الوحيد من الترجمة فقد صرح الكاتب **باولو كويلو** بان لم يكن راضيا عن ترجمات نصوصه إلى اللغة العربية فقد تم إضافة قرابة مائتي صفحة لترجمة كتابه الكيميائي L'ALCHIMIST في مصر في اطناب ممل .(CUELHO, 2010)

وإزاء هذا الحرص الشديد من قبل المؤلفين خشية ضياع إبداعهم عبثا تولى بعضهم مهمة ترجمة أعماله بنفسه على غرار رشيد بوجدرة وذلك في إطار الترجمة الذاتية.

ج- الترجمة الذاتية: يتولى المؤلف مهمة ترجمة أعماله من لغة إلى أخرى بنفسه دون الاستعانة بمترجم ويسعفه في ذلك إلمامه بالثقافتين واتقانه للغتين وتمكنه من الكتابة بكليهما بنفس المستوى الفني.

وقد أهملت الدراسات النظرية هذا النوع من الترجمة فقد تم إدراجه ضمن الازدواجية اللغوية أكثر من اعتباره ترجمة، إذ يلم المترجم الذاتي بتفاصيل العمل إلماما يمكنه من نقله بسلاسة كونه هو مصممه والوحيد الذي يملك زمامه ومقاصده العميقة والخفية فيعيد بناء نصه في لغة أخرى في عملية إعادة كتابة للنص فينتج نصا أصلا ثانيا.

وتنفرد هذه الطبقة من المترجمين بحق التصرف في النص بالحذف والاضافة والزيادة، فيولد النص الثاني من رحم الإبداع ذاتها تميزه بصمته الإبداعية الفريدة عن توأمه.

الخلاصة:

نخلص مما سبق عرضه أن الترجمة الأدبية مخاض فكري عسير وإبداع على هامش الإبداع تلتحم فيه اللغة والثقافة والفكروالفن ينبغي لمريدها موهبة فائقة يتخللها عشق ترجمي خلاق.

ليس المترجم ممثلا بديلا لتأدية الأدوار الخطيرة فمتى ما نجح العمل صرف دأبه لغيره وإذا تعثر قيل ترجمة رديئة،فيتحول جهده إلى شماعة تعلق عليها أخطاء الأخرين.

يعتبر المترجم وسيطا إنسانيا بين الثقافات وبين المؤلف والقارئ يساهم في زيادة الاقبال على العمل ويهبه أجنحة من خلال الترجمة ليحلق في سماء الإبداع بلا تأشيرة.

ليس المترجم مؤلفا للنص لكنه كاتب أخر له بلغة أخرى ورؤية جديدة فالكتابة ملكة وتملك.

وعليه يمكن اعتبار الكتابة الجديدة للنص تحريرا وخلاصا للنص والمتلقي معا من الإقامة الجبرية في الثقافة الواحدة تحت سلطة الإبداع الأصلي تكفلها الترجمة ويحققها المترجم.

الهوامش:

BARTH, R. (1953). le degré zéro de l'ecriture. paris: le seuil.

CUELHO, P. (2010). www.lematin.ma/journal/2005/interview. Consulté le 07 15, 2018

MOUNIN, G. (1976). linguistique et traduction. Bruxcelles, BELGIQUE: Dessart et Mardaga.

الديداوي، م .(2005) .منهاج المترجم .(éd. 1)بيروت ,لبنان :المركز الثقافي العربي.

الزاوي ,أ .(2015, 05 25). .الميادين Récupéré sur . www.m.almayadeen.net/episodes/669465.

إيكو ,أ .(2007) .العلامة، تخليل المفهوم وتاريخه،) .(éd. 1) س .بنكراد (.Trad ,الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي.

باسنيت ,س .(2012) .دراسات الترجمة .éd (بدون) .(ف .ع .المطلب (.Trad , دمشق ,سوريا : منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة s.

بيوض ,إ .(2003) . الترجمة الأدبية مشاكل وحلول .(éd. 1) بيروت ,لبنان : دار الفرابي.

ياسمينة خضراء. (2015). تاريخ الاسترداد 20 07, 2018، من www.djazairess.com/elkhabar/235099: www.djazairess.com/elkhabar/235099